



الجدل في القرآن الكريم

إعداد

د. همت السيد الشربيني الباز
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

مقدمة

الحمد لله الذي هدى الأمة الإسلامية إلى عبادته، وحفظ لنا القرآن الكريم دستوراً وإماماً يهدينا به إلى طريق الصواب والمعرفة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام كل تقي، وسيد كل نبي، القائل في الحديث الشريف: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين....." (١).

أما بعد..

فقد خلق الله - عز وجل - الإنسان في هذا الكون الفسيح، وسخر له بما أودع في هذا المخلوق - الذي كرمه وفضله علي كثير من خلقه - من قوة التفكير، وقدرة على الارتقاء. وما كان الله - سبحانه - وهو الحكيم العليم - أن يذر الإنسان في هذا الكون الكبير، دون قبس من هدي خالقه العظيم، بين فترة وأخرى - يقوده إلى معالم الرشد والصلاح والهداية، بيد أن في طبيعة الإنسان من العناد واللجاجة الفطرية ما يحول بينه وبين الانصياع لرسول ربه حتى يأتيه بما لا يستطيع أن يفعل مثله، وحينئذ يعترف أن هناك قدرة عليا فوق قدرته، لذلك أيد الله رسله إلى خلقه - حين أرسلهم إليهم بمعجزات وخوارق العادات لتقوم حجته على من أرسل إليهم رسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

وحتى تتم الحجة، وتنقطع المعارضة أيد الله كل رسول من رسله صلوات الله وسلامه عليهم - بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه، ونبغوا فيه، فلما نبغ قوم موسى - عليه السلام - بالسحر وبلغ عندهم الغاية القصوى، كانت معجزته - عليه السلام - قاهرة مسيطرة مبطللة لما جاءوا به منه كما حكى الله ذلك في قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى

(١) صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً، رقم ٧١، ٣٩/١، وصحيح مسلم الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط. دار الجيل بيروت، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة، رقم ٢٤٣٦، ٩٤/٣.

إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا
سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (١١٦) {
الأعراف: ١١٥-١١٦

وبلغ الطب في قوم عيسى -عليه السلام- مبلغه ، فكانت معجزته -
عليه السلام أنه يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، كما
قال سبحانه في معرض الامتياز عليه بما أتاه من العلم ، والحكمة وما
أيده به من معجزة : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ
وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ
عَلَّمْتِكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ { المائدة ١١٠

وهذه المعجزات المادية تنتهي بانتهاء وقتها ، وتنقضي بانقضاء
هدفها ، ولما كانت رسالة الإسلام رسالة عالمية خالدة بخلود الزمن أنعم
الله بها على الإنسانية ، بعد أن بلغت رشدتها ، ووصلت إلى درجة
كمالها ، جاءت معجزة هذه الرسالة الخاتمة - متمثلة في القرآن العظيم
- الذي يحاج العقل البشري في أرقى ما وصل إليه من العلم ، ويفتح له
أوسع مجالات المناقشة والتفكير ، وتحدي بهذه المعجزة الكبرى العقل
البشري إلى الأبد ، وفي نفس الوقت جاء هذا الكتاب القيم - الذي كان
معجزة ورسالة وشريعة - متضمنا العديد من العلوم والمعارف
والأخبار الماضية والمستقبلية ، فهو معجزة بكل ما تحمله هذه الكلمة .
وهذا هو المعنى الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله : (ما من الأنبياء نبي
إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيته وحيا
أوحاه الله إلي فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (١).

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة كتاب فضائل القرآن فتح الباري ج ٩ ، ص ٤-٥

وقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ في قوم بلغ فيهم البيان العربي أوج عزته ، فاشتهروا بالتفنن في ضروب الفصاحة والبلاغة ، فكانت – معجزته الكبرى الخالدة – صلوات الله وسلامه عليه – كلاما معجزا ، وأفكارا حية نابضة ، ومبادئ عقديّة ، وحججا وبراهين حسية وعقلية ، وجدالا فكريا عقليا رافيا ساميا ، مع مناقشة المبطلين ، والرد عليهم ، لدحض شبهاتهم ، وإزهاق باطلهم ، بعد إقامة الحجة الدامغة ، والبراهين القوية الساطعة على أن كل ما يدعو إليه هذا الكتاب صدق وحق .

جاء ذلك كله في أسلوب أعجز الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ومن خلال المنهج العام للجدل القرآني الذي سنرى شيئا من معالمه – إن شاء الله في هذا البحث المتواضع ، نرى معالم الحق والعدل – في القرآن الكريم – واضحة جلية . ونرى – أيضا – كيف يصرع القرآن الباطل بالحجة والبرهان حتى يدمغه ، فتتجلى النتائج بنصرة الحق على الباطل ، واستعلائه عليه ، قال تعالى : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } الأنبياء ١٨

وبعد ،،،

فإننا نرى اليوم عزوا فكريا ، يتمثل في المادة الجدلية الحديثة التي ما هي إلا امتداد لتلك الماديات القديمة ، ولم يغير من جوهرها تحطيم الذرة التي تفتتها ، اللهم إلا في كيفية التعبير عنها . غير ان أساليب المادية الحديثة – التي أصبحت تغزو شعوب العالم – حركات منظمة توجهها الحركة الإلحادية الصهيونية العالمية ، فتقتنص بها الشعوب التي فقدت الحصانة النفسية ، ولم تخالط بشاشة الإيمان قلوبها ، الأمر الذي جعلها أرضا موبوءة تعيش فيها الجراثيم ، وتنتعش فيها الحشرات المسومة، فتقضي علي أغلى ما تملكه النفوس المؤمنة من عقيدة الإيمان والمثل العليا للأخلاق والقيم :

لهذا كان هذا البحث المتواضع لإبراز ما في البيان القرآني عن الجدل ، من دروس وعبر وقيم ليتسلح بها المسلم بما يكشف أسرار

المادية الحديثة وما فيها من سوءات ، وتهافت ، خاصة وقد يروج البعض - إما عن جهل أو خبث وسوء نية - من فترة لأخرى - لفكرة باطلة تقول : إن الإسلام دين تلقيني عاطفي ، بضاعته مسلمات وقضاياه خطابات ، وأنه دين يضيق ذرعا بالجدل ويكره المناقشة ، ويفر من المناظرة .

وسنرى من خلال هذا البحث دلائل افتراء هذا المدعي وكذبه على الإسلام وكتابه العظيم الذي رفع من شأن العقل البشري ، ونادى بتكريمه ، وحذر من إهماله ، وجعل التفكير في خلق الله وسننه وسير السابقين فريضة واجبة الأداء ، وأمر الله رسوله الكريم بمجادلة الكافرين في نفس الآية التي دعاهم فيها إلى الإيمان ، وذلك في قوله سبحانه : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل ١٢٥ .

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة :
أما المقدمة فقد اشتملت علي تمهيد في أهمية هذا العلم ، تعريف
الجدل ، الدراسات السابقة من عصر القدامى والمحدثين .
المبحث الأول (الجدل في القرآن) واشتمل على ثلاثة مطالب:
المطلب الأول : التعريف بالجدل ونشأته .
المطلب الثاني : جدل القرآن ونماذج من جدال الأنبياء .
المطلب الثالث : أقسام الجدل .
المبحث الثاني (حكم الجدل بالحق) واشتمل على مطلبين :
المطلب الأول : الفرق بين جدل القرآن وجدل المتكلمين .
المطلب الثاني : أوجه الجدل القرآني .
المبحث الثالث (موضوعات الجدل القرآني) واشتمل على ثلاثة
مطالب :

المطلب الأول : أهم مواضيع الجدل القرآني
المطلب الثاني : خصائص الجدل القرآني .
المطلب الثالث : آداب قرآنية في الجدل والمجادلين .
أما الخاتمة فقد اشتملت على : نتائج البحث ، المصادر ،
الفهارس .

ولقد استخرت الله في كتابة هذا البحث عن الجدل في القرآن
الكريم ، وأسأل الله العلي العظيم أن يشرح لهذا العمل صدري وأن ييسر
لي أمري ، وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع بالقبول الحسن ، وما
كان فيه من صواب فمن الله وحده - صاحب كل خير وفضل - وما
كان فيه غير ذلك فالله يعلم أنني بذلت قصارى جهدي وما أريد إلا الحق
والصواب ، وهو سبحانه بيده وحده هداية القلوب والأفكار .
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

(١) تمهيد في أهمية هذا العلم والتعريف به ونشأته :

مما يلفت نظر المتأمل في أي التنزيل الحكيم ، هذا العدد الهائل منها الذي يتناول كل شبهة أثارها المرتابون ، وكل معارضة أقامها المعاندون فكشف النقاب عن أسرارها ، وتصدى لها بالحجة والبرهان حتى يبين زيفها ، وكل ذلك في نقاش عقلي رصين ، ومجادلات راقية ، سامية مقنعة ، تسطع بأروع حجة وأحكم برهان ، وحجج القرآن ، وبراهينه مجال واسع يسمح للعقل البشري بالتأمل والتفكير ، وقد نزل القرآن بشريعة خالدة ، ودين عالمي ، نظريته شاملة ، وأدلته قوية وغايته شريفة فلا بد إذن من أن يقتنع العقل البشري ، ويسلك معه مسالك التوجيه والإرشاد ، ويقيم على كل دعوة ما يناسبها من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة .

ويرى الإنسان أيضا في القرآن العظيم آيات كثيرة تأخذ بعقل الإنسان في رفق وأناة ، وترشده إلي التفكير في ملكوت السموات والأرض ، والتأمل في خلق الله ، وبدائع صنعه ، ليمتلئ قلبه ووجدانه بحب هذا الإله وتعظيمه ، وتقديسه ، وشكره ، وحمده . إلي غير ذلك من آيات في هذا المجال الذي يعتبر ظاهرة تقتضيها ضرورة البلاغ لرسالة الله سبحانه .

من هنا تبرز أهمية هذا العلم من علوم الكتاب العزيز ، وليعرف المسلم كيف يرد المطاعن التي تسدد نحو هذا الدين القيم وكتابه الكريم ، ورسوله العظيم ﷺ .

كما يقف المسلم به على حقيقة هذا الصراع الفكري والمعترك العقدي بين القرآن وخصومه ، وكيف خاض القرآن هذه المعركة بحكمة واقتدار ، وكيف جاء بالجدل الذي يلزم الخصم ويفحمه من أقرب الطرق وأيسرها . وأيضا يعرف المسلم مدى الجهد الضخم والهائل الذي بذله رسول الله ﷺ وهو يبلغ رسالة الله للعالمين دون ضجر ، أو ملل ، أو فتور ، وقال له ربه في ذلك : ﴿ فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان ٥٢ .

وأهمية هذا العلم تكمن أيضا في احترام الذات الإنسانية ، فلم يشأ الله سبحانه ، أن تفرض عليها الأفكار والعقائد فرضا بل عن طريق الإقناع الهادئ والدليل الواضح ، وبهذا استغل القرآن الجانب الإيجابي للإنسان في التفكير فيما يسعده ويهديه ويرشده إلى طرق الصواب ، ورباه على التفكير المنظم الدقيق للوصول إلي الحق .

من هنا اهتم علماء التنزيل المجيد بهذا الفن الرفيع ، قديما وحديثا ويقول السيوطي - الذي أفرد له في إتقانه النوع الثامن و الستين - أفرد بالتصنيف نجم الدين الطوفي .^(١)

ثم قال رحمه الله :

قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين ، والأدلة وما من برهان ودلالة ، وتقسيم ، وتحذير ، تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادات العرب ، دون دقائق طرق المتكلمين^(٢) وتحدث عنه الزركشي في برهانه في النوع الثالث والثلاثين^(٣) .

وللشيخ عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (٥٥٤هـ- ٦٣٤هـ) كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم ، مؤسسة الريان للطباعة ، ولمحمد بن المرتضى اليماني المعروف بابن الوزير كتاب : ترجيح أساليب القرآن علي أساليب اليونان ، دار الكتب العلمية ببيروت .
ومن المحدثين :

تناول هذا العلم الكثير من علمائنا المعاصرين في مصنفاتهم في علوم القرآن العزيز ، فقد تناوله الإمام الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه " المعجزة الكبرى " وقال في صدر الحديث عنه معللا لوروده في القرآن العظيم :حتى لا يكون موضع ارتياب لمرتاب ، يزيل الريب بالحقائق ، ويبدد الأوهام بالأدلة التي تنبه إلى حقائق الوجود ،

(١) الإتيان في علوم القرآن، للامام السيوطي ، ط. دار الكتب ، بيروت ١٣/٢

(٢) الإتيان في علوم القرآن، للامام السيوطي ، ١٣٥/٢

(٣) البرهان في علوم القرآن ، للامام الزركشي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط. دار المعرفة ٢٤/٢

وما كان ذلك للجدل مع المخالفين من مشركين وأهل كتاب فقط ، بل كان لإثبات الحقائق في ذاتها من غير محاجة مع منكر ولا مجادلة مع جاحد (١) .

والدكتور المرحوم محمد عبد المنعم القيعي تحدث عنه - في ايجاز - في كتابه الأصيلان في علوم القرآن . دار الطباعة المحمدية .
والشيخ مناع القطان في كتابه : مباحث في علوم القرآن ، دار غريب للطباعة نشر مكتبة وهبة .

(١) المعجزة الكبرى ، للإمام أبي زهرة ، ط. دار الفكر العربي ص ٣٦٤

المبحث الأول
الجدل في القرآن
المطلب الأول
التعريف بالجدل ونشأته

أولاً : الجدل في اللغة :

يقول صاحب المفردات : الجدل وأصله من جدلت الحبل أي :
أحكمت قتله ، ومنه الجديل ، وجدلت البناء : أحكمته ، ودرع مجدلة ،
والأجدل : القصر المحمكة البنية ، والمجدل القصر المحمكة البناء ،
ومنه الجدل ، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه (١)
وقال ابن منظور : الجدل : شدة الفتل ، وجدلت الحبل أجده
جدلاً : إذا شددت قتله ، وفتلته فتلاً محكماً ، ومنه قيل لزام الناقة :
الجديل ، والجدالة : الأرض لشدتها
والجدل : بفتح الجيم وإسكان الدال ، الصرع وجدله جدلاً ،
وجدله فانجدل ، وتجدل : صرعه على الجدالة ، ودرع جدلاء ، مجدولة
: محمكة النسج والجدل : اللدد في الخصومة والقدرة عليها . ويقال :
جادلت الرجل ، فجدلته جدلاً أي : غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى في
الخصام (٢)

من هذا يتبين لنا : أن هذه المادة تفيد – في معناها اللغوي –
القوة والإحكام والمنعة وتعني الغلبة ، وإحراز النصر علي الخصم ،
لذلك يقول ابن فارس : الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب
استحكام الشيء على استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ،
ومراجعة الكلام (٣)

(١) المفردات في غريب القرآن للإمام الأصبهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ،

مطبعة الحلبي ، ١٩٦١م ص ٨٩-٩٠

(٢) لسان العرب لابن منظور بتصريف باب اللام فصل الجيم ، بيروت ط. الأولى

١٩٩٠م ، ج ١١ ، ص ١٠٣-١٠٤

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ط. الأولى

١٩٩١م ، دار الجيل بيروت ، ج ١ ، ص ٤٣٣

ألفاظ مرادفة للجدل : يتقارب مع كلمة الجدل هذه الألفاظ :
المناظرة ، المحاوره ، المناقشة فما هي ؟
يقول صاحب اللسان : والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا
نظرتما فيه معا كيف تأتياه (١)

والمحاوره : هي المراجعة في الكلام ، ومنه التحاور أي
التجاوب وحاورته أي راجعته في الكلام (٢). هذا وقد ورد لفظ الجدل
والمحاوره في موضع واحد من التنزيل المجيد في قوله سبحانه : { قَدْ
سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (٣)

والمناقشة هي : الاستقصاء في الحساب ، قال في اللسان : يقال
: ناقشته مناقشة : استقصيت في حسابه (٤).

ويبين الإمام أبو زهرة أن بين هذه الألفاظ اختلافا في الاصطلاح
فيقول : فالمناظرة الغرض منها الوصول إلي الصواب في الموضوع
الذي اختلفت فيه أنظار المتناقشين فيه .
والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم ، والتغلب عليه في مقام
الاستدلال (٥) .

ثانياً : الجدل في الاصطلاح :

للجدل في اصطلاح أهل العلم عدة تعريفات ، إلا أنها متقاربة
المعنى فمنها :

-
- (١) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٢١٧
 - (٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد الفيومي ط. دار
القلم بيروت ، ج ١ ص ٢١٤
 - (٣) سورة المجادلة : ١
 - (٤) المصباح المنير ج ٢ ، ص ٨٥٤ ، القاموس المحيط ج ٢ ، ص ٢
 - (٥) تاريخ الجدل ، للإمام محمد أبي زهرة ط. دار الفكر العربي الثالثة ١٩٨٠ م ، ص ٥

- (١) تعريف إمام الحرمين : والصحيح أن يقال في تعريفه : إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة ، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة (١).
- (٢) تعريف الراغب الأصفهاني عرفه بقوله : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة (٢)
- (٣) تعريف الجرجاني : الجدل عبارة عن مرآة يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها (٣)
- (٤) قال النووي – رحمه الله – (الجدل والجدال والمجادلة : مقابلة الحجة بالحجة ، وتكون بحق وباطل ، وأصله الخصومة الشديدة ، ويسمى جدلاً ؛ لأن كل واحد منهما يحكم خصومته ، وحجته إحصائياً بليغاً على قدر طاقته ، تشبهاً بجدل الحبل ، وهو إحصاء قتله ، يقال : جادله يجادله وجدالاً (٤)
- ومهما يكن من هذه المعاني في الجدل ، والجدال ، فإنه الخصومة والمنازعة في البيان ، والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوي المتكلم (٥)

ثالثاً : تعريف الجدل في الاصطلاح الفلسفي :

إن مصطلح « الجدل » أو « الديالكتيك » قد أطلق على كثير من المحاولات المنهجية منذ عهد سقراط إلى اليوم ، وترجع إلى فئة في

(١) الكافية في الجدل تحقيق د. فوقية حسين محمود الكافية في الجدل لإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، تحقيق د/ فوقية حسين محمود – مطبعة الحلبة ١٩٧٩ م ص ٧٦ .

(٢) المفردات ص ٨٩

(٣) التعريفات للجرجاني ، مطبعة الحلبي ، ص ٦٦

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج ٣ ، ص ٤٨ .

(٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د/ زاهر عوض الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٤

النقاش الفلسفي (١)

وقيل : (الكلمة معناها : المحاوراة أو المناقشة ؛ لأن فيها ما يكون في الحوار من أخذ ورد ، وقد لا يتحتم أن يشترك في المحاورت أكثر من شخص واحد ، إذ الشخص الواحد يستطيع أن يلقي على نفسه السؤال ، ثم يجيب لنفسه عنه ، وبهذا تتم فيه وحدة عملية التفكير بجانبها) (٢) .

والمتأمل في المعنى الفلسفي للجدل يجد أنه قريب من المعنى الشرعي أيضاً ، حيث إنه يشتمل على محاوراة ومناقشة بين طرفين سواء في جانب الحق أو جانب الباطل ، وكلا الطرفين يحاول بقدر استطاعته مناصرة رأيه بالحجة .

نشأة الجدل

الجدل ظاهرة عالمية ، لوجودها في غير الجنس البشري ، كالملائكة وإبليس ، فهو ظاهرة قديمة ، وشاملة لكل الأجناس تقريبا ، يقول ابن حنبل في كتابه استخراج الجدل من القرآن الكريم : أول من سن الجدل الملائكة – صلوات الله عليهم – حيث قالوا : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة : ٣٠ ، وهذا منهم استدلال بالترجيح والأولوية ، أي من سبح وقدس لك هو أولى بالإيجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، وكان جواب الله لهم بالترجيح – أيضا – من جهة أخرى ، ولهذا لم يرد عليهم قولهم ، إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنوه فيهم ، ووصفوه به كائن ، بل عدل سبحانه إلى أمر مجمل فقال :

(١) انظر خرافة الميتافيزيقا ، د. زكي نجيب محمود ، ص ٣٣ ط ١٩٥٣ م ، مكتبة النهضة المصرية .

(٢) نحو فلسفة علمية ، د. زكي نجيب محمود ، ص ١٤٥ ط ١٩٥٨ م ، مكتبة الأنجلو المصرية .

{ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } من ترتيب خلقي ، وتدبير صناعي المحوط بالحكمة الدال على القدرة (١)

قال ابن القيم في قوله تعالى : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ثلاثة أوجه

أحدهما : أن ظاهر الألف الاستفهام ، دخل على معنى العلم ، ليقع به تحقيق ، قال جرير : أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ

معناه : أنتم خير من ركب المطايا . ثانيهما : أنهم قالوه لاستعلام وجه الحكمة ، لا على وجه الاعتراض ، ذكره الزجاج .

ثالثهما : أنهم سألوا عن حال أنفسهم ، فتقديره : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ونحن نسبح بحمدك أم لا ؟ (٢)

هذا وقد اختلف في أول من كتب في الجدل في البيئته الإسلامية ، فذكر صاحب المصباح المنير (٣) : أن أول من دون في الجدل هو : أبو علي الطبري (٤) .

بينما يرى الإمام الشيخ أبو زهرة : أن أول من كتب فيه البزدوي ، والعميدي ، ثم كثر التأليف فيه من بعدهما (٥) .

(١) استخراج الجدل من القرآن الكريم ، للإمام عبد الرحمن بن نجم الأنصاري

المعروف بابن الحنبلي مؤسسة الريان طبعة أولى ١٩٩٢م ، ص ٣١-٣٢

(٢) زاد المسير في علم التفسير للجوزي ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي ١٤٠٧ هـ ج ١ ، ص ٦

(٣) المصباح المنير ج ١ ، ص ١٢٨

(٤) أبو علي الطبري : الامام البارع صاحب (الافصاح) الحسين بن القاسم ، صنف في أصول الفقه ، وفي الجدل ، وصنف "المجرد" ، وهو أول كتاب صنف في الخلاف المجرد ، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٣٥٠ هـ ، ينظر : طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ، ج ١ ، ص ٤٦٦ ، ط. دار البشائر ، بيروت .

(٥) تاريخ الجدل ، ص ٦

وأني أرى أن لجوء الإنسان إلى الجدل ، والمناظرة لإحقاق حق ، أو لإبطال باطل ، أو فض لخلافات دليل على رقي هذا الإنسان ، أما إذا كانت الوسيلة الوحيدة لإنهاء الخلافات هي السفسةة فى الكلام فإن ذلك يدل على بدائة هذا الإنسان وبعده عن الدين .

المطلب الثاني

جدل القرآن ونماذج من جدال الأنبياء

إن القرآن العظيم كان عماد النبي ﷺ في مجادلة المشركين وأهل الكتاب ، وغيرهم ، يحتج به عليهم لإثبات دعواه ، وكلما أرادوا اعتراضا نزل في الرد عليهم قرآن كريم ، فيتلوه عليهم النبي ﷺ ويرد كيدهم في نحورهم أن كانوا معاندين مستكبرين .

وكما أن القرآن العظيم معجزة النبي ﷺ الكبرى الخالدة ، كان كذلك مشتملا على كثير من الأسئلة التي اعترض بها أهل الشرك ، وغيرهم علي الإسلام وأجوبة القرآن عنها ، وكان في ذلك كله المثل الكامل الذي لا يتسامى إلى بنيانه متكلم ، أو محتج .

لذلك وجب علينا أن نعرف شيئا من طرائق استدلاله ، وجدله لا طمعا في محاكاته ، ولكن للاقتباس من نوره ، والاستضاءة بضوئه والاهتداء بهديه ، ولنجيب أمره في قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (١)

وأي مسلك سلك القرآن الكريم للاستدلال على ما جاء به من بينات وإثبات ما جاء به من حق ؟ أسلك مسلك المنطق والبرهان ؟ أم مسلك الخطابة والتأثير بالبيان ؟ أم مسلك الجدل والإلزام ؟ (٢)

وجدل القرآن هو : أدلته وبراهينه التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين ، والزام المعاندين ، في جميع ما يهدف إليه من المقاصد ، والأهداف التي يريد ترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها (٣) .

هذا وقد ذكر القرآن الكريم لفظ الجدل ، وما تصرف منه في تسعة وعشرين موضعا ، ولفظة الحجة ، وما تصرف منها في سبعة

(١) النحل: ١٢٥ .

(٢) ينظر تاريخ الجدل بتصرف ، ص ٥٩

(٣) الدر الثمين علوم الكتاب المبين د. شكري الأخضر، مطبعة محلة زياد، الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، ج ١ ص ١٧

وعشرين موضعا ، ولفظة السلطان في ثلاثة وثلاثين موضعا ، الجميع المراد به الحجة سوى موضع واحد في سورة الحاقة " هلك عنى سلطانية " وقيل المراد به الحجة (١).

نماذج من جدال الأنبياء عليهم السلام

أولاً : جدال نوح عليه السلام مع قومه : في مقام دعوتهم إلى الله تعالى

قال تعالى : { فَكَلَّمْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أُنْتَبِئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } [نوح : ١٠ - ٢٠] .

وقال تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) } [هود : ٢٥ - ٢٧] . وأجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى كما قال تعالى : { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوَاهِ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } [هود : ٢٨] .

إلى هذا هي الحجة العظمى ، وهذه الحجة هي التي أضافها الله عز وجل إلى نفسه في قوله تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِمَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام : ٨٣] . ولكن لفرط عنادهم { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا

(١) استخراج الجدل من القرآن الكريم، ص ١٩-٢٤

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) [هود : ٣٢] .

رأى خاصتنا فأكثررت خصومتنا وبالغت فيها ... والجدل في الدين محمود ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق ... (١) .

ثانياً : جدال إبراهيم عليه السلام وحجابه

وله ثلاثة مقامات الأول مع نفسه (٢) والثاني مع أبيه والثالث مع النمرود وقومه .

المقام الأول : (مع نفسه) حينما رأى كوكبا قال هذا ربي إلى آخر القصة .

قال تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) } [الأنعام : ٧٦ - ٧٩] .

ووجه الاستدلال أنه رأى إنارة الكوكب وحسنه وعلو مكانه ، ولم يرقبله مثله ، فقال هذا ربي في زعم قومه (بناء على أن الرب لا ينبغي أن يكون له مثل) ، فلما أفل أدرك نقصه وعيبه ؛ لأن الأفلول تغير ، والتغير حدوث . والكامل لا يجوز عليه الحدوث ؛ لأنه صانع الحدوث .

ومن هذا المنطلق طبق نفس الفكرة على القمر وعلى الشمس ، حين يدرك قومه أنهما ناقصان . إذن هما مخلوقان ، ولا بدلها من خالق ، لذا توجه إلى الله سبحانه وتعالى يطلب منه الهداية ، ونفى عن نفسه الشرك .

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج ١١ ، ص ١٠٥ ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، ١٤٤٧ هـ - ٢٠٠٦ م مؤسسة الرسالة .

(٢) لا يسمى جدلا إصطلاحاً ، وإنما مجارة للخصم .

المقام الثاني (مع أبيه)

قال تعالى : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا (٤١) }
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا
(٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا
(٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ
وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا (٤٦) } [مريم : ٤١ - ٤٦] .

فكان جواب أبيه جواب جاهل حيث قابل نصحه وإرشاده له وخوفه عليه من العذاب بالإساءة إليه بقوله « لئن لم تنته لأرجمنك » بالحجارة « واهجرني ملياً » .

(قال ابن عباس : أي اعتزلني سالم العرض لا يصبك مني معرفة ... وقال الحسن ومجاهد « ملياً » دهرًا طويلًا)^(١) .

المقام الثالث : (مع النمرود وقومه)

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) } [البقرة : ٢٥٨] .

فالصادر من خصمه معارضة ، إلا أنها فاسدة ؛ لأن حقيقة الإحياء والإماتة التي فسرها خصمه غير الذي قصده إبراهيم عليه السلام ، فلا يخلو حال « النمرود » إما أن يكون غير فاهم لحقيقة الإحياء والإماتة ، أو فاهما لها ، لكنه قصد المصادمة والمباهنة . وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفصح معارضته ، ويقطع حجاجه ، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم ، وأفلج

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ط. دار الغد العربي ، ج ١٣ ص ٤٥٨ .

للحجة ، وسيأتي نظيره في قصة موسى عليه السلام .

أما بالنسبة لقوم إبراهيم :

قال تعالى : { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) } [الأنعام : ٨٠]

فذكر إبراهيم عليه السلام الحجة العظمى فقال : { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) } [الأنعام : ٨١] .

فإن قيل : ما الحكمة أنه جادل النمرود بالإحياء والإماتة والإتيان بالشمس من الشرق ، وكل ذلك يمكن دعوى المعارضة له والكلام عليه ، ولم يطالبه بالحجة العظمى ، وجادل قومه بالحجة العظمى ؟!

فالجواب : أن النمرود كان يدعى الربوبية ، فلا يقال إنه يخلو إما أن يكون لنا إله ، أو لا بخلاف حال قومه ، فإنهم لم يدعوا الربوبية .

ثالثاً : جدال موسى عليه السلام مع فرعون

قال تعالى : { فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء : ١٦] . إلى أن قال سبحانه : { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) } [الشعراء : ٢٣ - ٣٣] .

والإشارة إلى وجه الدلالة من ذلك أن فرعون لما قال « وما رب العالمين » علم موسى أنه سؤال عن ما هية رب العالمين . ورب العالمين سبحانه ليس في مقدور أحد إدراك ماهيته جل وعلا ؛ لأنه الأول فلا شيء قبله فيكون منه، بل هو مكوّن لأصل الأشياء جميعاً وخلقها من عدم . فلم يشتغل موسى – عليه السلام – برد سؤاله وبيان سادته .

وكان المقصود تعريف الرب جل وعلا بصفته فقال « رب السماوات والأرض وما بينهما » فحصر الكائنات في ثلاث كلمات فلما قال « ألا ربكم الأعلى » فلما قال « إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون » أردف ما ذكر بشاهدين آخرين . فقال « رب المشرق والمغرب » .

لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان من آيات الله ، لا يقدر فرعون على ادعائهما ، فلما دحضت حجته قال { قَالَ لَنْ اتَّخَذُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ } [الشعراء : ٢٩ - ٣٣] .

فهاتان آيتان عظيمتان في انقلاب أعيانهما لا يقدر عليهما إلا الله سبحانه ولكن فرعون – لعنه الله – قابل ذلك باستحقار وإهانة – .

فكون العصا ظهرت في صورة ثعبان مناسبة لحال فرعون ؛ لأن مسها لين وفعلها قاتل ، وفرعون بإظهار كرمه وعدله لين ، وفعله قاتل لنفسه وغيره .

وأما يده البيضاء وهي المعجزة الثانية ففيها إشارة إلى أن موسى عليه السلام جاء فرعون وقومه بالشرع النير الأبيض الذي لا ظلمة فيه .

ولما كانت آية موسى عليه السلام حسية ، ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى ؛ لأنها عقلية . ولما هموا بقتله ألهم الله عز

وجل مؤمنا من آل فرعون الحجة العظمى فقال : { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ
مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنَّ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ
الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) } [غافر:
٢٨]^(١).

(١) استخراج الجدل من القرآن الكريم ، ص ٤١

المطلب الثالث

أقسام الجدل

وردت نصوص من الكتاب الكريم ، والسنة الشريفة تأمر بالجدل وأخرى تنهي عنه ، ومعلوم أنه لا تعارض بين الوحيين الشريفين ، وهذا يؤدي إلى الجزم بأن الجدل الذي تأمر به النصوص غير الجدل الذي تنهى عنه !!! وعلى هذا فالجدل ينقسم إلى قسمين : جدال محمود ، وآخر مذموم .

فالجدال المحمود (الممدوح) : هو ما كان بنية خالصة ، وجرى بطريقة سليمة ، وكان الهدف منه خيرا وهدى ، ذلك لأن كل أمر له دافع ، وطريقة ، ونتيجة بحيث إذا توافرت كان الأمر صحيحا محمودا ، فكل جدال أيد الحق ، وأظهره ، ونصره ، وأيد إليه وحبب الناس فيه ، ودفع عنه كيد الكائدين وشبهات الضالين ، فهو محمود مطلوب شرعا ، ما دامت فيه النية الصادقة ، والسبيل إليه سليم مستقيم.

يقول صاحب كتاب : استخراج الجدل من القرآن الكريم :
فأما الجدل فهو مذموم في كل موضع ذكر إلا في ثلاثة مواضع :

أحدهما في النحل ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١)

(١) النحل: ١٢٥.

الثاني في العنكبوت { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }^(١)

الثالث في المجادلة { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }^(٢) وهذه بعض الأدلة على هذا النوع من الجدل :

أ- قال سبحانه (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) في هذه الآية الكريمة دعوة صريحة إلى الجدل ، وبيان طرقه وأدابه .

يقول الدكتور القرضاوي تعليقا على هذه الآية : ونلاحظ أن القرآن اكتفى في الموعدة بأن تكون حسنة ، ولكنه لم يكتف في الجدل إلا بالتي هي أحسن ، بمعنى أنه لو وجدت طريقتان للجدال أ و الحوار : طريقة حسنة جيدة ، وطريقة أحسن منها وأجود ، فالمسلم له أن يحاور المخالفين بالطريقة التي هي أحسن وأجود . ثم يقول : ولماذا خالف القرآن بين الموعدة والجدال والحوار ؟

لأن الموعدة عادة مع الموافقين لك في الدين ، وأما الحوار والجدل فيكون مع المخالفين ، والموافقون يكفي أن نخاطبهم بالأسلوب الحسن أما المخالف فيحتاج إلى الذي هو أحسن^(٣) .

ب- قال سبحانه { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ }^(٤) قال القرطبي عند تفسيره لهذه

(١) العنكبوت : ٤٦

(٢) سورة المجادلة : ١

(٣) كيف نتعامل مع القرآن العظيم د/ يوسف القرضاوي - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، ص ٣٧

(٤) سورة هود : ٣٢

الآية : والجدل في الدين محمود ، ولهذا جادل نوح – عليه السلام – والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق ، فمن قبله نجح ، وأفلح ، ومن رده خاب ، وخسر ، وأما الجدل لغير الحق ، حتى يظهر الباطل في صورة الحق ، فمذموم وصاحبه في الدارين ملوم (١)

ج- وقال تعالى : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (٢)

وجه الدلالة : أن الله تعالى أمر بمجادلة أهل الكتاب بالرفق ، واللين ، والإنصاف وترك التعسف ، والاستطالة ، إلا لمن بدأ منهم بشيء من ذلك فإنه يعارض بما يفحمه ، ويلجم خصومته (٣)

ج- وقال سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٤)

يقول القرطبي عند تفسيره لهذه الآية :وتدل على إثبات المناظرة ، والمجادلة ، وإقامة الحجة ، وفي القرآن الكريم ، والسنة النبوية من هذا كثير لمن تأمله ، قال تعالى : { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٥) { إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٦) أي من حجة...فهو كله تعليم من الله – عز وجل –

(١) تفسير القرطبي : ج ٤ ، ص ٣٣٤٥-٣٣٤٦

(٢) العنكبوت : ٤٦

(٣) مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص ٥٣

(٤) البقرة : ٢٥٨

(٥) البقرة : ١١١

(٦) يونس ٦٨

السؤال والجواب والمجادلة في الدين ، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق (١)

هـ- وقال القرطبي عن سورة الأنعام : قال العلماء : هذه السورة أصل في محاجة المشركين ، وغيرهم من المبتدعين ، ومن كذب بالبعث والنشور (٢)

الجدل المذموم هو : ما يكون الهدف منه : نصره الباطل ، وإطفاء نور الحق ، ومحاربة الهدى ، واتباع الهوى ، وفي ذلك وردت النصوص التي تنهي عن الجدل وتحذر منه ، وعلى سبيل المثال :

أ- قال سبحانه : **{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ }** (٣) قال الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية : الجدل نوعان : جدال في تقرير الحق ، وجدال في تقرير الباطل ، أما الجدل في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء – عليهم السلام – قال تعالى لمحمد ﷺ **{ وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ }** وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام : **{ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا }** وأما الجدل في تقرير الباطل فهو مذموم – وهو المراد بهذه الآية حيث قال تعالى : **{ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }**، وقال **{ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }** (٤)

وقال : **{ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }** (٥)، ثم قال واعلم أن لفظ الجدل في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ، ولفظ الجدل عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره ، والذب

(١) تفسير القرطبي ج ٢، ص ١٢٠٩

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣، ص ٢٤٦٩

(٣) سورة غافر: ٤

(٤) سورة الزخرف ٥٨

(٥) سورة غافر ٥

عنه ثم قال رحمه الله : والجدال في آيات الله هو أن يقال مرة : إنه سحر ، ومرة إنه شعر ، ومرة إنه قول الكهنة ، ومرة إنه أساطير الأولين ، ومرة إنما يعلمه بشر ، وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة ، فذكر تعالى أنه لا يفعل هذا إلا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق (١)

ب- وقال سبحانه : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } قال الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة : القائلون بدم الجدل تمسكوا بهذه الآية إلا أنا قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى : { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } ، إن الآيات الكثيرة دالة على أن الجدال موجب للمدح ، والثناء . وطريق أن تصرف تلك الآيات إلى الجدل الذي يفيد تقرير الحق ، وأن تصرف هذه الآية إلى الجدل الذي يفيد تقرير الباطل . (٢)

ج- قال سبحانه : { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٣)

قال فيها الإمام القرطبي رحمه الله : في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له ، والحظر على من لا تحقيق عنده ، فقال تعالى : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم ، وأيقن ، فقال تعالى : { وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٤) أقول ومثل هذه الآية قوله

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ، ط. دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ج٢٧ ، ص ٢٢٢

(٢) المرجع السابق ج٢٧ ، ص٢٩

(٣) سورة آل عمران : ٦٦

(٤) تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ١٤٥٧

سبحانه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } (١)

قال الألوسي عند تفسيره لهذه الآية : وهي عامة في كل من تعاطى الجدل فيما يجوز ، وما لا يجوز على الله سبحانه من الصفات ، والأفعال ، ولا يرجع إلى علم ولا برهان ولا نصفه . (٢)

وعلى هذا فالجدال المذموم : إما أن يكون :- جدالاً بغير علم – جدالاً لنصرة الباطل ، وصد الناس عن طريق الحق والهدى ، وهو منهي عنه بنوعيه ، ملوم عليه صاحبه في الدنيا والأخرة لأنه ابتعد عن طريق الخير والرشاد ، وسلك مسلك الشياطين والفجار وله عند ربه سوء الحساب . يقول الله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (٣)

(١) الحج : ٣

(٢) تفسير الألوسي، ج ١٧، ص ١١٤

(٣) لقمان : ٢٠-٢١

المبحث الثاني

حكم الجدل بالحق

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في قصة وفد نصارى نجران وما اشتملت عليه من فوائد : ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ، ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه ، إذا ظهرت مصلحة من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة ، فليؤد ذلك إلى أهله (١)

وقال صاحب الفتح القدير عند تفسيره لقوله سبحانه : { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } (٢) فأما الجدل لاستيضاح الحق ، ورفع اللبس ، والبحث عن الراجح والمرجوح ، وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون ، فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون ، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أتوا الكتاب ، فقال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّنَّ مَا يَشْتَرُونَ } (٣) وقال : (عن الذين يكتُمون { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (٤) وقال : { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (٥)

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، مطبعة الحلبي ، ج ٣ ، ص ٤٩

(٢) سورة غافر : ٤

(٣) آل عمران : ١٨٧

(٤) البقرة : ١٥٩

(٥) فتح القدير للشوكاني ، مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية ، ج ٤ ، ص ٤٨١ والأية من سورة العنكبوت ٤٦

ونستطيع – مما تقدم – أن نستخلص النتائج التالية :

(١) أن الجدل يكون تارة بالحق ، وتارة بالباطل ، والحكم يدور على علته ، فحيث وجد الجدل بالباطل كان محرما ، وحيث وجد الحق كان مباحا أو واجبا ، وذلك على حسب المقامات التي تقتضيها بواعث الجدل.

(٢) أنه لا تعارض بين النصوص الواردة في النهي عن الجدل والنصوص الواردة في الأمر به ، لأننا نعلم - يقينا - أن الجدل الذي أمر الله به غير الجدل الذي نهى عنه ، فتحمل نصوص النهي على الجدل بالباطل ، ونصوص الأمر به على الجدل بالحق ، فيدفع الإشكال الذي قد يعرض لبسطاء الناس .

(٣) أن الجدل بالحق لإقامة الحجة على أهل الإلحاد ، والبدع من الجهاد في سبيل الله ، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم وألسنتكم) (١) وإنما يكون الجهاد باللسان ، بتبيان الحق بالحجة ، والبرهان لا بالشغب والهذيان والسب والشتم .

(٤) كلما احتكمت البشرية إلى منطق الحجة والبرهان والتزمت أداب الجدل في فض نزاعاتها ، كلما كانت أقرب إلى السمو والإنسانية مما لو لجأت إلى منطق القوة والسلاح .

(٥) الجدل بالباطل هدم لكيان المجتمع الإنساني فكم جر من الولايات والحزابات بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ، وكم

(١) رواه النسائي بسنده عن أنس غير أنه قال : وأيديكم بدل من (وألسنتكم) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي كتاب الجهاد ج ٥ ، ص ٧

من صراع فكري جدلي تحول إلى صراع دموي ، نتيجة الخوض في الباطل ، وعدم الإصغاء إلى برهان الحق ، ومنطق البيان (١)

المطلب الأول

الفرق بين جدل القرآن - وجدل المتكلمين

يقول الشيخ مناع القطان : القرآن الكريم تناول كثيراً من الأدلة ، والبراهين التي حاج بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة ، وأبطل كل شبهة فاسدة ، ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج سليم التركيب ، لا يحتاج إلى أعمال عقل ، أو كثير بحث . ولم يسلك القرآن في الجدل طريقة المتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها ، من الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل ، والاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء . (٢) ولم يسلك القرآن الكريم طريقة أهل الكلام !!!!

(١) لأن القرآن الذي جاء بلسان العرب، خاطبهم بما يعرفون وحاجهم بما يألّفون، فقد كانوا عند نزول القرآن الكريم لا يعرفون الطرق المنطقية التي اتبعها فلاسفة اليونان ، على أن في اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – من أساليب النقض والإبطال والمنع والحجج والبراهين العقلية ، ما يكفي في ميدان الجدل والمحاورة .

(٢) لم يخضع القرآن الكريم يوماً ما لقواعد من وضع البشر ، ومنها السقيم ، والخاطيء ، والركيك ، وذلك شأن كل شيء من وضع البشر ، الذين يصيبون ويخطئون .

(١) ينظر منهاج الجدل بتصرف ، ص ٦٣-٦٤-٦٥

(٢) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، دار غريب ، الطبعة الخامسة، ص ٢٦٨

٣) اللجوء إلى الغامض من الأساليب مع القدرة على البيان بأوضح الأساليب ، وأسلم التراكيب التي يعجز الإتيان بمثلها يعد عجزاً ، فإن الألغاز لا تعدُّ من صور البيان ، فلو لجأ القرآن إلى دقائق الطرق المنطقية لكان ملغزاً ، ولكنه جاء على هذا النسق البياني في أسلوب عربي مبين ، فأعجز البشر أجمعين .

٤) الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة .

٥) اللجوء إلى الغامض الخفي لا يفهمه إلا الخاصة ، وقد جاء القرآن الكريم للعام والخاص ، وللناس كافة . يقول الإمام الشيخ أبو زهرة : فالمتدبر لآياته ، والمتفكر في مناهجه يجد فيها ما يعلم الجاهل وينبه الغافل ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) فلنقرأ تلك الآية ولنرجع البصر فيها كرتين ، ألا تراه فيها قد وجه الأذهان إلى عظيم قدرته ، وقوة سلطانه على الوجود ، وبين كيف اخترع وأبدع وبرأ على غير مثال سبق ليثبت أنه الأحق بالعبادة من غير أن يشاركه وثن ولا صنم ، وألا ترى أن الشخص من الدهماء يقرؤها ، فيرى فيها علماً بما لم يكن يعلم ، وقد أدركه في أيسر كلفة ، وأقرب طريق ، وأبلغ بيان ، ويرى فيها العالم الفيلسوف ما وصل إليه العقل البشري مع سمو البيان وعلو البرهان ، فتبارك الذي أنزل الفرقان (٢)

وبعد .. فلا نريد بحال من الأحوال – هنا – أن نوازن بين أسلوب القرآن المجيد ، وطرائقه ، وبين أي أسلوب آخر من أساليب البشر ، إذ لا محل للموازنة ، ولكننا نريد أن نقول : إن حجج القرآن وبراهينه

(١) سورة الأنبياء : ٣٠
(٢) تاريخ الجدل ، ص ٦١

قامت على أسس متينة من الجودة والإحكام ، سواء كان في نظمها وتراكيبها ، أم في صحة مقدماتها ونتائجها ، أم في بعد مراميها في معالجة أدواء القلوب ، وإصلاح المجتمعات الإنسانية .

وإذا صح لنا أن نقول :

إن في القرآن شيئاً من المنطق ، فإنما هو منطق العقل والضمير ، منطق الحجة والبرهان ، منطق البلاغة والبيان ، وليس منطق أرسطو القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة كما توهم بعض المتفلسفين .

فإن القرآن مما يعجز عن مجاراته الطوق البشري ، ولا تحتمله قوة النبوغ الإنساني . والصورة التي تشكلت بها حجج القرآن وبراهينه وجدله هي صورة الفصاحة والبلاغة والإعجاز البياني . (١)

(١) ينظر مناهج الجدل ، ص ٩٥-٩٦

المطلب الثاني

أوجه الجدل القرآني

ورد الجدل في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول ... ما ذكره الله – سبحانه – من مباحث العقائد المتعلقة بوجوب الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر مقرونة بالأدلة العقلية ، والأدلة الكونية التي تثبتها ، وهذا النوع كثير جدا في القرآن العظيم ، ومن أمثلته : ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

فهذا استدلال في غاية الظهور ، ونهاية البيان ، على جميع عقائد هذا الدين من إثبات وجود الصانع – سبحانه – وصفات كماله من قدرته ، وعلمه ، وإرداته ، وحكمته ، وسائر أفعاله

وعلى أن هذا العالم حادث وأن الله سبحانه واحد لا شريك له ، وفي الآيات دليل أيضا على إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ على أبلغ وجه وأحسنه ، وهذا يدل على صدقه – عليه السلام – في كل ما أخبر به ، وقد أخبر – عليه السلام – عن الميعاد والجنة والنار ، فنبت صحة ذلك كله بالضرورة .

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

(١) سورة البقرة : ٢١

وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (١)

يقول ابن كثير رحمه الله : يقول الله تعالى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها ، وكواكبها ، السيارة ، والثوابت ، ودوران فلكها ، وهذه الأرض في كثافتها ، وانخفاضها وجبالها ، وبحارها ، وقفارها ، وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار ، هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ، ويعقبه ، لا يتأخر عنه لحظة وتارة يطول هذا ، ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) أي في تسخير بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء . (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) أي على اختلاف أشكالها ، وألوانها، ومنافعها ، وصغرها ، وكبرها ، وهو يعلم ذلك كله ، ويرزقه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك (وتصريف الرياح) أي فتارة تأتي بالرحمة ، وتارة تأتي بالعذاب ، وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب ، وتارة تسوقه ، وتارة تجمععه ، وتارة تفرقه .. (وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى (٢)

الأمر الثاني : مناظرات وقعت بين طرفين ، والقصد منه الاسترشاد ، والنظر إلى العظة والاعتبار أو الترجي ، والدعاء ، وهذا أيضا كثير في القرآن العظيم . **ومن أمثلته :**

مجادلة إبراهيم - عليه السلام - للملائكة بشأن قوم لوط : فقد جادلهم - عليه السلام - عندما علم أنهم سيهلكون وقد حدثنا القرآن عن ذلك في قوله : **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا**

(١) سورة البقرة : ١٦٣-١٦٤

(٢) تفسير ابن كثير ، ١ ، ص ٢٠١

أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (١)

ومن أمثله أيضا محاوراة ابني آدم التي حكاها القرآن بقوله : ﴿
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لئن
بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢)﴾

الثالث : الأدلة والبراهين التي ذكرت للرد على الخصوم وإلزام
المعاندين وإقناعهم بالدليل القطعي ، وإبطال شبههم ، وبيان ما تنطوي
عليه من مفساد ، وما تحتوي عليه من تهافت .

ولهذا الوجه أنواع كثيرة منها :

(١) استفهام التقرير : وهو الاستفهام عن المقدمات الواضحة الثبوت ،
التي لا يسوغ لأحد إنكارها ، لتدل على المطلوب ، وتجعل المخاطب
يقر بالحق لإعترافه بإنكار الباطل . وهذا النوع من أحسن جدل القرآن
الكريم ، لأن الجدل يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات وإن لم تكن
بينة معروفة ، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية ، والقرآن لا يحتاج
بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها ، بل بالقضايا والمقدمات التي يسلمها
الناس وهي برهانية (٣) ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم : قوله
سبحانه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤)﴾ وهو تقرير لهم بالأطوار الثلاثة التي شاهدها ،

(١) سورة العنكبوت : ٣١-٣٢

(٢) سورة المائدة : ٢٧-٢٩

(٣) ينظر مذكرات في علوم القرآن محمد علي سلامة ، ، ص ٩٧-٩٨

(٤) سورة البقرة ٢٨

ليعترفوا ويقروا بالطور الرابع ، وهو استدلال بديع لطيف . وقوله تعالى : { أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ }^(١) وقوله سبحانه : { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ }^(٢) { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ }^(٣)

(٢) السبر والتقسيم : وذلك يكون بحصر الأوصاف للموضوع الذي فيه الجدل ، ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه ، فتبطل دعوى الخصم ، عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع .^(٤)

وقد ذكر السيوطي رحمه الله في الإتيان أن من أمثلة هذا النوع قوله تعالى : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيَيْنِ بِنُبُونِي بَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤) }^(٥) وقد بين صاحب الإتيان وجه الاستدلال بالآية فقال : إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناتها أخرى ، رد الله تعالى عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم فقال : إن الخلق لله ، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى ، فمما جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته ؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدري له علة ، وهو التعبدى – بأن يأخذ ذلك عن الله تعالى ، والأخذ عن الله تعالى : إما بوحى ، أو إرسال رسول ، أو سماع كلامه ، ومشاهدة تلقي ذلك عنه ،

(١) سورة الطور : ٦٣

(٢) سورة الواقعة : ٥٨

(٣) سورة الواقعة : ٦٣

(٤) انظر مناهج الجدل ، ص ٧٤

(٥) سورة الأنعام : ١٤٣-١٤٤

وهو معنى قوله (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) . فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها ، والأول يلزم عليه أن جميع الذكور حرام ، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراما ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة ، وبعض في حالة أخرى ، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ، ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعي وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال (١)

وخلاصة الاستلال على بطلان ما ادعوا من تحريم السائبة ، والوصيلة وبعض الضأن والماعز والبقر : أن الله تعالى نبههم أن التحريم لوصف ذاتي في المحرمات ، أو لوحي من الله ، أو أمر من رسول وبما أنه لم يكن ثمة وصف ذاتي يقتضي التحريم فهل كان التحريم بنص من رسول أو وحي من الله ؟ أو من أين جاء هذا العلم ؟ والجواب : لا شيء من ذلك ، سوى الافتراء على الله والقول عليه بغير علم (٢) .

(٣) قياس الخلف : وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، لأن النقيضين لا يجتمعان ، ولا يخلو المحل من أحدهما وذلك كالمقابلة بين العدم والوجود . وقد اتجه القرآن الكريم في استدلاله إلى إبطال ونقض ما عليه أهل الشرك ، فيبطل عبادة الأوثان ، ويثبت التوحيد . ومن ذلك الاستدلال على التوحيد في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٣) وتقرير الدليل : إن السماوات والأرض لو كان فيها إله غيره سبحانه لأدى ذلك إلى تنازع الإرادتين بين سلب وإيجاب مما يؤدي إلى فسادهما ، ولكن السماوات

(١) الإتيقان : ١٣٦ / ٢ - ١٣٧

(٢) مناهج الجدل ، ص ٧٥

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢

والأرض صالحان غير فاسدين ، فبطل ما يؤدي إلى الفساد وهو التعدد وثبتت الوجدانية ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون . ومن ذلك أيضا قوله سبحانه : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (١) وإذا ثبت أنه ليس فيه اختلاف ، ولا تضارب في مقرراته ، ولا عباراته فإنه يثبت النقيض ، وهو أنه - أي القرآن الكريم - من عند الله تعالى (٢)

٤) قياس التمثيل : وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول ، ولقد سلك القرآن هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه ، وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث وقدرة الله تعالى عليه بما يرون من إنشاء لذلك الكون البديع ، وما خلق به الإنسان ، وبيان أطواره ، من أصلاب الآباء ، إلي أرحام الأمهات (٣) ومن ذلك قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } (٤) في هذه الآيات الكريمة ساق القرآن للناس أدلة مما يشاهدون وبراهين ملموسة معروفة لديهم وهي : أطوار خلق الإنسان ، وخلق الأحياء من الأرض من نبات ،

(١) سورة النساء : ٨٢

(٢) المعجزة الكبرى ، ص ٣٧٧

(٣) المعجزة الكبرى ، ص ٣٨٠

(٤) سورة الحج : ٥-٧

وحیوان ، وكل ذلك يدل على قدرة الله سبحانه على وأن هذا الإله العظيم الذي خلق الإنسان من العدم قادر على بعثه وحسابه يوم الدين .

ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } (١)

نلاحظ في هذه الآيات البيّنات عقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته في أبلغ أسلوب وأوضح بيان ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } (٢) وهذه الآيات الكريمة ،بالإضافة إلى ما فيها من إفحام المشركين ومنكري البعث بعد الموت، فإنها توجه القلوب والعقول والأبصار إلى الكون وما فيه من دلائل متكاثرة على القدرة الإلهية ، و عجائب صنع الله الخالق ، بديع السموات والأرض .

يقول صاحب الظلال : إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح ، الذي يقرأ بكل لغة ، ويدرك بكل وسيلة ، ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة والكوخ ، والمتحضر ساكن العماير والقصور ، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده فيجد فيه زادا من الحق ، حين يطالعه بشعور المتطلع إلى الحق وهو قائم مفتوح في كل آن ، { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } فهي عملية دائمة التكرار فيما حولهم ، مألوفا لهم ، ولكنهم لا ينتبهون إليها ، ولا يلحظونها قبل الاعتراض والتعجب . (كذلك الخروج) على هذه الوتيرة ، وبهذه الهولة الآن يقولها ، وقد حشد لها من الإيقاعات الكونية على القلب البشري ، وذلك الحشد

(١) سورة يس : ٧٨-٨١

(٢) سورة ق : ٦-١١

الطويل المؤثر الموحى لكل قلب منيب ، وكذلك يعالج القلوب خالق
القلوب (١)

٥) القول الموجب : وحقيقته : رد كلام الخصم من فحوى
كلامه ، وقيل هو قسمان : أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية
عن شيء أثبت له حكم ، فتنبئها لغير ذلك الشيء كقوله تعالى : {
يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (٢) . فالأعز وقعت
في كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، والأذل عن فريق المؤمنين ،
وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله في
الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ، فكأنه
قيل : صحيح ذلك : ليخرجن الأعز منها الأذل ، لكن هم الأذل المخرج
والله ورسوله الأعز المخرج .

والثاني : حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله
بذكر متعلقه ، كقوله تعالى : { وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ
أَدْنَىٰ قُلُوبِنَا أَوْلَىٰ بِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٣) يريدون أنه ﷺ
سماع لكل شيء ، مصدق لكل قول ، ولكن الآية لم تترك الأذن مطلقه ،
بل نسبتها إلى الخير (٤)

٦) الانتقال : ومعناه أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي
كان أخذاً فيه وذلك لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول ،
كما في سبحانه : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ

(١) الظلال ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة . ٦ ، ص ٣٣٦٠-٣٣٦١

(٢) سورة المنافقون : ٨

(٣) سورة التوبة : ٦١

(٤) ينظر من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي - نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٨م ، ص
٣٧٤

الْمَلِكِ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١) فإن الملك الذي جادله إبراهيم - عليه السلام - فهم من الأحياء والإماتة قدرته على إبقاء من يستحق القتل وحكمه على الحي بالموت ، فلم يرد إبراهيم مناقشته لكي يبين له مراده من الأحياء والإماتة ، بل انتقل إلى استدلال لا يجد الملك له وجهاً يتخلص به منه فقال : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) وهنا بهت الملك ، ولم يمكنه أن يقول أنا آتي بها من المشرق ، أو أستطيع أن آتي بهامن المغرب (٢)

(٧) مجازاة الخصم : وذلك بأن يسلم للخصم بعض مقدماته ، مع الإشارة إلى أنها لا تؤدي إلى ما يريده هو ، بل هي مساعدة على ما يريده المستدل . وذلك مثل قوله تعالى : { قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } (٣) فكان الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - لم ينكروا أنهم بشر لكن هذه الدعوى لا تنتج عدم الرسالة ، كما يزعم أعداؤهم ، ولا تنافي أن ينعم الله عليهم بها ، بل أن البشرية شرط في الرسالة إلى البشر ، فإن سنة الله جرت بأن يكون الرسول - أي رسول - من جنس المرسل إليهم ، وهذا يعرفونه تمام المعرفة

(٨) المناقضة : وهي تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه ، مثل قوله تعالى : { إِنَّ الدِّينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

(١) البقرة : ٢٥٨

(٢) ينظر من بلاغة القرآن ، ص ٣٤٧

(٣) سورة إبراهيم : ١٠

عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } (١)

٩) الاستدلال بوجود الأثر على المؤثر : وذلك مثل ما صنع إبراهيم – عليه السلام – في مناظرته لأصحاب الهياكل والأصنام ، وكيف استدل على وجود الله تعالى ، بأثار إيجاده لخلقه .

وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله سبحانه : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (٢) فقد استدل إبراهيم – عليه السلام – بأقوال الكواكب والقمر والشمس على عدم أحقيتها بالألوهية ، لأنها محتاجة إلى محدث لا يكون حادثا . ونلاحظ هنا أمرين :

الأول : أن إبراهيم – عليه السلام – ساق أدلته مساق من يوافق أصحاب الهياكل أولا ثم خالفهم في النهاية ليكون الإلزام أبلغ ، والإفحام أقوى .

الثاني : أن قوله – عليه السلام – هذا ربي لا يدل على أنه كان مشركا ، فسوق الكلام على جهة الإلزام غير سوقه على جهة الالتزام . وهذا من قبيل حسن السياسة في الجدل (٣)

١٠) إفحام الخصم بأن مدعاه يلزمه بما لم يقل به أحد ، وبما لم يعترف هو به مثل قوله تعالى (بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٤) فإنه

(١) سورة الأعراف : ٤٠

(٢) سورة الأنعام : ٧٥

(٣) ينظر منهاج الجدل ، ص ٨٦

(٤) سورة الأنعام : ١٠١

لم يقل أحد إن له -سبحانه وتعالى - صاحبة حتى من ينسب له الولد لا يقول ذلك فمن أين يكون الولد ؟

(١١) الاسجال : وهو أن تثبت على لسان خصمك ألفاظا في سياق آخر ، تسجل عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار ، وذلك مثل قوله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) (١) فقد كان المشركون - في الدنيا - ينكرون البعث والجزاء ، وها هم الآن يعترفون به ، ويجدونه حقا واقعا ، وهذا من الاسجال عليهم ما لا يخفى.

(١٢) مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدعاه : مثل قوله تعالى في شأن اليهود (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢)

وفي هذا مطالبة لهم بتصحيح ما ادعوه ، ويتردد حالهم بين أمرين : الأول : إما أن يكون زعمهم هذا بناء على وحي من الله وعهد عهد به إليهم وهذا منتف قطعاً . الثاني : أو يكون هذا الكلام قولاً على الله بل علم ولا بيينة ، فوجب أن يكون كذباً قطعاً . وهذا لون من الجدل القرآني بديع ، لأن فيه افحاماً للخصم .

(١٣) إظهار التشهي والتحكم من المخالف : وذلك مثل قوله تعالى : { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (٣) . فالآية الكريمة تظهرهم في صورة المتشهي المتحكم ، فلا حجة لهم على ما يزعمون سوى التحكم بالباطل ، فإن جاءهم ما لا يشتهون دفعوه وردوه وإن كان على هواهم قبلوه وأجازوه

(١) سورة الأعراف : ٤٤

(٢) سورة البقرة : ٨٠

(٣) سورة البقرة : ٨٧

هواه ، دون تدبر للحقائق أو نظرة عادلة عاقلة منصفة ومن هذا القبيل معارضة المشركين للرسول ﷺ في أمر القرآن الكريم ، وتشكيكهم في نسبته إلى الله تعالى ، فأكثرُوا الخوض في معارضته بالنقض والإبطال ، فتارة يقولون : إن الرسول ﷺ تعلمه من غلام أعجمي ، حكى القرآن ذلك عنهم بقوله : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) ورد عليهم الافتراء بقوله : (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ^(١). وتارة أخرى يقولون إن الرسول ﷺ جمع أخبار الأمم الماضية واكتتبها (فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ^(٢). ورد عليهم – أيضا – هذا التهافت بقوله: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَّتَابِ الْمُبْطَلُونَ) ^(٣). والمشركون يريدون – من ذلك كله – أن يثبتوا أن القرآن ليس من عند الله ، بل هو من وضع البشر ، وبالتالي فإن محمداً في زعمهم ، بناءً على هذا ، كاذب فيما جاءهم به من أمر النبوة والرسالة!!!!

ولقد نقض القرآن الكريم هذه الدعوي بأمرين :

الأول : إبطال ما زعموه ، ونقض جميع الشبهات والدعاوي التي أثاروها في هذا المجال .

الثاني : الاستدلال بالتحدي على صدقه ﷺ فيما يبلغ من رسالة الله ، وأن القرآن وحي من الله إليه ، وليس له – عليه السلام – ولا غيره شيء فيه . ولقد تحداهم القرآن في مقامات عديدة فقال لهم : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ^(٤) ثم سجل عليهم عدم القدرة على المعارضة قبل أن يحاولوا فقال لهم : (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا

(١) سورة النحل : ١٠٣

(٢) سورة الفرقان : ٥

(٣) سورة العنكبوت : ٤٨

(٤) سورة البقرة : ٢٣

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١) وقال سبحانه أيضا : (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (٢)

وفي النهاية تحداهم التحدي العام للثقلين الجن والإنس على أن يأتوا بمثل ، فقال سبحانه (قُلْ لَنْ أُجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (٣) تحداهم القرآن ، فعجزوا عن معارضته ، فنبت الإعجاز ، وبطلت دعواهم أن القرآن من وضع البشر وثبت صدق النبي ﷺ في كل ما يبلغ عن الله . وبهذا يتبين أن معارضتهم للقرآن باطلة وأنها منقوضة من جهتين :

(١) من جهة نقض أدلتها ، وإدحاض شبهاتها .

(٢) من جهة قيام التحدي ، وانهم أمام عظمة القرآن الكريم (٤)

(١) سورة البقرة : ٢٤

(٢) سورة الطور : ٣٤

(٣) سورة الإسراء : ٨٨

(٤) ينظر مناهج الجدل ، ص ٣٤

المبحث الثالث
موضوعات الجدل القرآني
المطلب الأول

أهم مواضيع الجدل القرآني

لعل المتأمل في آيات الجدل والمناظرة في التنزيل الحكيم يدرك أن أهم موضوع من موضوعات الجدل في القرآن الكريم موضوع إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته . ووجود الله سبحانه حقيقة لا تقبل النقاش والجدل فهي تسري في الأحاسيس والمشاعر ، وتتغلغل في أعماق النفس الإنسانية .

فوجوده - تعالى - من البديهيات التي يدركها الإنسان بفطرته ، ويهتدي إليها بطبيعته ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقترب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ، ما اختلف عن ذلك مؤمن ولا ملحد (١) . أقول : لم يبق بعيدا عن هذه الحقيقة الواضحة إلا من أغلق قلبه دون أنوار الله ولوث فطرته ، وأصم أذنيه عن نداء الفطرة التي بين جنبيه . وقد اقترنت حضارة الغرب - التي تسود العالم اليوم - بنزوع عجيب إلى المماراة في وجود الله تعالى - والنظر إلى الأديان عموما - على أنها مسكنات اجتماعية لأنصارها ، ومن ينادي بالتمسك بها . وقد سلك القرآن مسالك شتى مع الملاحدة والمشركين لإثبات وجوده سبحانه ووحدانيته .

(١) فلفت أنظارهم إلى مظاهر الإبداع الذي يعيشون فيه ، كما في قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)) (٢) وقوله سبحانه : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ

(١) عقيدة المسلم للشيخ الغزالي ، للشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية ، ص

(٢) سورة الغاشية : ١٧-٢٠

مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ((٧))^(١) ويسمى هذا دليل الإبداع .

(٢) ويسوق لهم جملة من الآيات التي تنادي بعناية الله بخلقه وكريم رعايته لهم ، وجميل إحسانه ، كما في قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)^(٢) وقوله سبحانه : (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣))^(٣) ويسمى هذا دليل العناية .

(٣) وفي القرآن الكريم - كذلك - آيات شتى توجه أنظار الناس لما في الكون من حركة مستمرة لا تتوقف لهذه الكائنات الكثيرة ، ومع ذلك لا تصطدم ولا تزيغ وذلك كما في قوله تعالى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدْرَ نَافِةٍ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠))^(٤) من الذي هيمن على نظام هذه المخلوقات الهائلة ، وأشرف على مدار هذه المخلوقات الضخمة ؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ، ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة ؟ إنها لا تتركز في علوها إلا على دعائم القدرة ، ولا تطير إلا بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى . (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)^(٥) ويسمى هذا دليل الحركة .

(١) سورة الطارق : ٥ - ٧

(٢) سورة الفرقان : ٦١ - ٦٢

(٣) سورة الجاثية : ١٢ - ١٣

(٤) سورة يس : ٣٨ - ٤٠

(٥) سورة فاطر : ٤١

٤) ثم يستدل القرآن على وجود الله سبحانه ووجدانيته بدليل الحدوث فعناصر الكون الذي نعيش فيه لها بداية معروفة ، كما أننا قبل ميلادنا لم تكن شيئاً يذكر كما قال الله سبحانه : **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا)** ^(١) ومن غير المعقول أن يتطور العدم إلى وجود تطورا ذاتيا أنه إذا وقعت واقعة لم يعرف فاعلها ، قيل : إن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد قط : إنه ليس لها فاعل ^(٢)

فهل يعقل أن يكون هذا الكون بلا فاعل صانع حكيم قادر ؟ وجملة القول أن القرآن الكريم قد طلب من الإنسان أن يتدبر في خلقه وفي الكون حوله من سماء وأرض وشمس وقمر وبحار وأنهار وليل ونهار ورياح وسحاب وإلى عالم النبات وما فيه من عجائب صنع القدير وغير ذلك من آيات نفسية وكونية وحيوانية لكي يعرف أن لهذا الكون إلها خالقا عظيما موجودا .
أما في مجال إثبات وجدانيته تعالى :

فقد سلك في استدلالاته على ذلك مسلكين :

الأول : الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ، وهذا ما يسميه علماء الكلام بدليل التمانع ، وذلك مثل قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)** ^(٣)

وقوله تعالى : **(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)** ^(٤) وقوله سبحانه: **(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ)** ^(٥)

(١) سورة الإنسان : ١

(٢) ينظر عقيدة المسلم ، ص ٢٢-٢٣

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢

(٤) سورة الإسراء : ٤٢

(٥) سورة المؤمنون : ٩١

الثاني : في التركيز على إبطال معبودات المشركين ، وبيان تفاهتها وأنها لا تخلق ذبابة ، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرا ، ولا تجلب لها نفعا ، فكيف تملك لغيرها نفعا أو ضرا ؟ وبيان تفاهة المشركين – عندما – يعبدون الأوثان ، وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل ^(١) . من ذلك قوله تعالى : **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** ^(٢)

وقوله سبحانه : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)** ^(٣) وقد استدلل القرآن – هنا – على بطلان عبادة الأصنام بأمرين : الأول : عجز هذه الأصنام وسائر المعبودات من دون الله على خلق أحقر وأقل مخلوق شأنًا وهو الذباب حتى لو اجتمعت من أجل هذا المخلوق التافه . الثاني : ... لا تستطيع أن تدفع عن نفسها أقل مخلوق وأحقر شيء وهو الذبابة ، فهو أعجز من أن تدفع عن غيرها شيئًا .

هذا ... وقد تحدث القرآن في جدله في موضوعات أخرى كثيرة مثل جداله عن قضية البعث ، وما فيه والرسالة ، وصدق الرسول ﷺ وكذلك عن قضية إثبات أن القرآن من عند الله إلى غير ذلك والله أعلم .

(١) ينظر منهاج الجدل ، ص ١٥٨-١٦١

(٢) سورة العنكبوت : ٤١

(٣) سورة الحج : ٧٣

المطلب الثاني من خصائص الجدل القرآني

جاء القرآن الكريم بمنهج عام متكامل ، لنظام الحياة الإنسانية المتكاملة ، تربية الفرد ، وبناء المجتمع ، ونظاما للحكم . وقد استخدم التنزيل الحكيم – وهو كتاب الله المبين – الجدل في أحسن صورة ، وأرقى أنواعه ، ذلك لأن القرآن الكريم لا يستخدم من البيان العربي إلا أحسنه وأعذبه وأوضحه. ولقد ظهر للجدل القرآني خصائص بارزة ، ومعالم واضحة منها :

(١) يستهدف الجدل في القرآن الحقيقة وحدها ، ويقيم عليها الأدلة والبراهين البينة في غير لف ولا دوران بل في وضوح كامل ، وبيان عقلي ولفظي هادئ ومنصف .

(٢) يعالج الجدل القرآني أوضاع الخصوم ، ويناقشهم فيما يتناسب مع أوضاعهم وأحوالهم، وهو اتجاه واضح في كل أساليب الجدل القرآني ، فهو يتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات ، حتى إننا نجد الله – تعالى – يوجه نبيه ﷺ في حوارهِ مع المشركين أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله ، ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة ، فيقول لهم : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) ^(١) وهكذا يعتمد القرآن – في حوارهِ- على العقل المجرد ، وهو أقصى ما يمكن أن يطلبه ، أو ينتظره مفكر يدعي الحرية في فكره ، أو باحث يدعي التجرد من التعصب والانحياز .

(٣) التنوع : فالجدال في القرآن لم يقتصر على نوع معين كموضوع للحوار بل شمل كل أوجه الحياة ، فهو يتناول العقائد من الإيمان بالله وصفاته وأفعاله ، إلى البعث وما فيه ، والإيمان برسول الله – عليهم السلام – وأن القرآن من عند الله وغير ذلك من أمور كثيرة تشمل كل جوانب الحياة .

(٤) يطالب القرآن الكريم كل مجادل أن يكون جداله عن علم – لا عن هوى أو ظن أو تقليد – وذم من يجادل بغير علم ، فقال : (يَا أَهْلَ

(١) الاسراء : ٤٢

الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١) وممن ثم فالقرآن لا يأتي - في جداله - بمقدمة - إن لم تكن علما ويقول لخصومه " نبئوني بعلم " .

٥) الأصل في الجدل أن يكون بالتي هي أحسن ، والقرآن الكريم يستخدم الجدل كوسيلة من وسائل الإقناع في إثبات الحق وإزهاق الباطل وإذا استخدم القرآن القسوة في جداله مع الخصوم أو لجأ إلى تأنيبهم ، فهذا لا يرجع إلى طريقته العامة في الجدل وإنما يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالمجادل نفسه ، لأنه لم يدعن للحق ويستخدم عقله فيما يلقي عليه من بيان مصحوب بالحجة الواضحة والدليل القوي ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَالْهَذَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) فقولته : (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) يعني : مغالبة من ظلم واعتدى من أهل الكتاب بأية وسيلة حتى يدعنوا للحق ، ويظهر أمر الله .

٦) الجدل القرآني يثير العقل والوجدان معا : لأنه يأتي بما يقنع العقل ويمتدع الوجدان ويسعده ، وهذا ما لا نجده في أسلوب آخر كما نجده واضحا في أسلوب القرآن الكريم فالله تعالى - في القرآن - يمزج بين الحق والجمال معا فهو لا ينسى حق العقل في الحكمة والعبرة ، كما لا يغفل عن حق القلب في التشويق ، والترقيق ، والتحذير ، والتهويل ، والتعجيب ، وصدق الله العظيم : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣) يقول صاحب النبأ العظيم : فمن لك إذا بهذا الكلام الواحد ، الذي يجيء من الحقيقة البرهانية الصارمة حتى أولئك الفلاسفة المتعمقين ، ومن المتعة الوجدانية الطيبة بما يرضي حتى هؤلاء الشعراء المرحين ؟ ذلك الله رب العالمين ، فهو الذي لا يشغله شأن وهو

(١) آل عمران : ٦٥

(٢) سورة العنكبوت : ٤٦

(٣) سورة الزمر : ٢٣

القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا بلسان ، وأن يمزج الحق والجمال معا يلتقيان ولا يبغيان ، وأن يخرج منهما شرابا خالصا سائعا للشاربين ، وهذا ما تجده في كتابه الكريم حيثما توجهت . ألا تراه في فسحة قصصه ، وأخباره لا ينسى حق العقل من حكمة وعبره ؟ وألا تراه في معمعة براهينه وأخباره لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق؟^(١)

(٧) الجدل القرآني يجمع بين الإنصاف في الدعوى ، والإلزام في النتيجة ، يظهر هذا واضحا في قوله تعالى : { وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) }^(٢) يقول صاحب الضلال في تعليقه على قوله تعالى : (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يسير معهم خطوة أخرى في الافحام والإحراج يقول لهم : إن لم يكن يعجبكم القرآن ، ولم تكن تعجبكم التوراة ، فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من التوراة والقرآن ، فأتوا به أتبعه . وهذه نهاية الإنصاف ، وغاية المطولة بالحجة ، فإن لم يجنح إلى الحق بعد هذا ، فهو المكابر الذي لا يستند إلى دليل .^(٣)

(٨) تحديد الغاية وتوضيحها : يهتم الجدل القرآني بإبراز الهدف الذي يدور حوله النقاش والتحاور ، ذلك لأنه كتاب فصل لا هزل ، يحدد الهدف في دقة وصرامة ووضوح ، وحتى لا يضيع الوقت والجهد في مناقشات جانبية لا تفيد شيئا ، وتبعد عن الهدف الأصلي من

(١) النبأ العظيم ، للدكتور محمد دراز - دار القلم ، الكويت الطبعة الرابعة ، ص ١٠٩ -

١١٠

(٢) سورة القصص : ٤٧-٤٩

(٣) الضلال ، ج ٥ ، ص ٢٦٩٩

التحاور. يقول سبحانه: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَآبَاؤُكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (١) ويقول تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٢)

الجمع بين الرفق والقوة : وذلك لأن القرآن يهدف إلى دعوة الناس إلى الخق ، والعمل على كسبهم للدعوة ، لينضموا لكتائب الهدى والإيمان ، ومن ثم فإن موادعة الخصم تؤدي إلى عدم نفوره على الأقل ، وإعلان القوة لهذا الخصم ، عامل مهم من عوامل كسبه للدعوة ، فبعض الناس يؤثر فيه اللين وبعضهم تؤثر فيه الشدة ، والقرآن يجمع بينهما في آن واحد وذلك في قوله تعالى : { فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) } (٣) يقول صاحب الظلال : وهذا القول فيه من الإطماع في الرحمة بقدر ما فيه من الإرهاب بالبأس ، والله الذي خلق قلوب البشر ، يخاطبها بهذا وذلك ، لعلها تهتز ، وتلقى ، وتستجيب (٤)

(١) سبأ : ٢٤

(٢) آل عمران : ٦٤

(٣) الأنعام : ١٤٧

(٤) الظلال ج ٣ ، ص ١٢٢٦

المطلب الثالث

آداب قرآنية في الجدل والمجادلين

إن في جدل القرآن العظيم أدبا رفيعا وسموا ملحوظا ، وهو في نفس الوقت فيه الأسس القوية والقويمة التي تصونه عن أن يتحول إلى ممارسة بعيدة عن طلب الحقيقة والسعي إليها من أقرب وأيسر طريق ، أنه يبتعد عن أي شيء يثير مشاحنات أنانية ، أو مشاغبات ومغالطات ونحو ذلك مما يفسد القلوب ، ويهيج النفوس ، ويورث العصبية ولا يوصل إلى حق . نقول : إن في القرآن العظيم أدبا ينبغي أن يتحلى بها كل من يسلك مسلك الجدل مع خصم بغية الوصول إلى الهدى والحق ، ومن هذه الأداب القرآنية الراقية .

أولا : أن يقصد بجدله وجه الله ، وابتغاء مرضاته سبحانه ، في امتثال أمره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول صاحب الظلال عند تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى تَمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) إنها دعوة إلى القيام لله ، بعيدا عن الهوى ، بعيدا عن المصلحة ، بعيدا عن ملابسات الأرض ، بعيدا عن الدوافع والهوائف التي تشجر في القلوب ، فتبعد به عن الله . ثم يقول : القيام لله ... لا لغرض ، ولا لهوى ، ولا لمصلحة ، ولا لنتيجة التجرد والخلوص .. ثم التفكير والتدبير بلا مؤثر خارج عن الواقع (٢) . وما دام الجدل لله وفي سبيل الله ودينه وشرعه فلا بد أن يكون المجادل صاحب :

(١) قول مهذب بعيد عن الإسفاف والطعن والتجريح أو السخرية من خصمه ، ويرشدنا القرآن إلى ذلك كثيرا . فيقول سبحانه : (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (٣) ويقول : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا

(١) سورة سبأ : ٤٦

(٢) الظلال ج ٥ ، ص ٢٩١٤

(٣) سورة النحل : ١٢٥

وَالْهُكْمَ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ^(١) حتى لو سلك مجادلوكم مسالك غير مهذبة فكونوا أنتم أصحاب القول المذهب ، والجدال الرفيع واسلكوا كل طريقة هي أحسن ، فكرا وقولا .

(٢) تواضع جم وأدب رفيع ، فلا يتناول على خصمه ، فالقرآن علم اتباعه أن التركيز - في الجدل - على الوصول إلى الحق ودعوة الناس إليه ، فهو محور الخصومة ولب النقاش ، اما الخصم ذاته ، فنحس أن محاوره القرآن لا تهدف إلى النيل منه ، أو إيذائه ، فالقرآن لا يعنى - كثيرا- بالأشخاص - كثروا أو قلوا إلا بمقدار اعتراضهم ، أما أشخاصهم ذاتها أو خصومتهم نفسها فالقرآن الكريم أكبر من أن يعطيها اهتماما كبيرا . نرى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في محاورته للمشركين من عبدة الكواكب يجاريهم فيما يزعمون- لكي يبين لهم ضلالهم المبين - في تدرج عقلي ونفسي معهم ، حتى يصل بهم إلى النتيجة الكبرى في هذا الوجود ، وهي : إن الإله لا يغيب ، ولا ينبغي له ان يغيب ، يحكي لنا القرآن ذلك في قوله سبحانه : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١)))^(١) نلاحظ في هذه الآيات الكريمة :

(أ) كيف حافظ سيدنا إبراهيم - عليه السلام - على حسن صلته بالخصوم ، وقربهم إليه بقوله : (يا قوم) أملا في كسب إيمانهم.
(ب) كيف تدرج معهم ، ليثبت لهم خطأهم الواضح في عبادتهم للكواكب .

(١) سورة العنكبوت : ٤٦

(٢) سورة الأنعام : ٧٦-٧٩

(ج) ثم أعلن الحكم بصراحة على عبادتهم لهذه الكواكب وإن ذلك شرك في قوله : (مما تشركون) .

(د) وأعلن استنكاره الصريح لهذا الشرك بقوله : (إني بريء مما تشركون) .

(هـ) بين لهم البديل الصحيح الذي يجب أن يتوجهوا إليه ، وهو عبادة الله وحده ، والإيمان به سبحانه وذلك بقوله : (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً) .

(و) بين لهم قدرا كافيا من مزايا وصفات هذا الإله الواحد الذي يدعوهم لعبادته ، ويكفي أنه (فطر السموات والأرض) .

(ز) يخشى إبراهيم - عليه السلام - التأويل أو اللبس فقد يقول أهل الشرك نعبد الإله الذي تدعوننا إليه ، ونعبد معه آلهتنا ، فيعلن لهم أنه يرفض أي شرك مع الله ، وذلك بقوله : (وما أنا من المشركين) . وكل هذا التركيز - كما نلاحظ - منصب على النتيجة والغاية ، لا على الأشخاص ، إذ هي الهدف الأسمى من كل هذا الجدل .

ثانياً: التزام الطرق الإقناعية الصحيحة ، من نقلية وعقلية ، فإن كانت نقلية ، فلا بد من صحة النقل ، وإن كانت عقلية فلا بد أن تسلم بها العقول الصحيحة . وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ذلك ، فقد طالب بتقديم الدليل النقلي الصحيح في قوله سبحانه : (**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأْتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) ^(١) . فقد اعترض اليهود - على الرسول - ﷺ في أكله لحوم الإبل ، وشرب ألبانها ومع أنه - عليه السلام - أعلن أنه على دين إبراهيم - عليه السلام - وادعوا أنها كانت محرمة في ملة إبراهيم - عليه السلام - فقال لهم رسول الله ﷺ : إن ذلك كان حلالا لإبراهيم ، فنحن نحلّه ، فقال اليهود إنها لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ^(٢) ونوح عليه السلام ، فنزل القرآن الكريم يطالب اليهود بتقديم الدليل على ما يدعون من نقل صحيح .

(١) سورة آل عمران : ٩٣

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي ، ج ٨ ، ص ١٣٧

وقوله سبحانه : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١) . وطالب خصومه بتقديم البرهان العقلي والنقلي في قوله تعالى : (أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُذَكِّرُ مَن مَّعِيَ وَذَكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ) (٢) . ويطلبهم بتقديم أى دليل ، عقليا كان أم نقليا في قوله تعالى : (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٣) .

ثالثا : عدم الطعن في أدلة المجالد ، إلا على أساس من المنطق السليم ، والقواعد المسلم بها لدي الطرفين ، أو على دليل واضح ، وبينه ظاهرة ، لا تقبل الجدل .

رابعا : إعلان التسليم بالقضايا والأمور التي هي من المسلمات الأولى ، أو من الأمور المتفق عليها بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها ، فليس من شأن طالب الحق أن يصر على إنكار أمور مسلم بها .

خامسا : قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة ، إذا كان الموضوع فيه الدليل المرجح وإلا كانت المجادلة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه

سادسا : ألا يجادل في الأوقات التي يخرج فيها مزاجه عن حد الاعتدال ، لأنه إن جادل في هذه الأوقات كان قليل الصبر سريع الغضب والنفور ، وهذا يتنافى مع الجدل وما يحتاجه من صبر طويل ، وهدوء واتساع صدر .

سابعا : أن يبتعد عن إطالة الكلام إطالة مملة ، وعن اختصاره اختصارا مخلا ، بل يكون حكيما في استعمال الألفاظ ، وأن يستعمل اللفظ الواضح الذي لا يحتمل التأويل

(١) سورة البقرة : ١١١

(٢) سورة الأنبياء : ٢٤

(٣) سورة النمل : ٦٤

ثامنا : أن يقصد من جدله الوصول إلى الصواب ولو على يد صاحبه .

عاشرا ، أن يكون مع خصمه في خلوته ، لا في حفل جامع لأن الخلوة أجمع للفهم ، وأحرى بصفاء الذهن ، وأعون على الوصول إلى الحق ، وفي حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعي الرياء ، ويوجب الحرص على أن يحاول كل واحد نصرة نفسه محققا كان أم مبطلا ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه : (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقْرَّبَةٍ وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقْرَّبَةٍ وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقْرَّبَةٍ) (١)

(١) سورة سبأ: ٤٦

خاتمة البحث

وبعد ،،،

فإن النفس البشرية مجبولة على حب الدفاع عنها ، وتقدير مطالبها ، وإيضاح أبعاد مقاصدها ، حتى في مواقف القيامة فإنها لا تتخلي عن هذه النزعة البيانية الإنسانية كما في قوله سبحانه : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (١)

لكن ... لو أن الناس – وأخص منهم المتكلمين فهم الذين عنوا بآثبات العقائد ، والجدل فيها – سلكوا مسلك القرآن العظيم وساروا في ستمته ، لكان علمهم أكثر فائدة ، وأدنى جني ، وأنبع ثمارا ، ولكنهم سلكوا مسلك المنطق ، وقيوده والبرهان وأشكاله ، فكان علمهم للخاصة ، من غير أن يفيد العامة .

وأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ، ينتفع به آحاد الناس ، ويستضرر به الأكثرون ، بل إن أدلة القرآن الكريم كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع ، والرجل القوي ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا .

وفي الحق : لقد اشتمل القرآن في مناهجه الجدلية على العلاج الناجح لأمراض البشرية ، والدواء الشافي لعلها . فلعل العقلاء يشغلون أنفسهم بدراسة ما فيه من استدلال لينهجوا على نهجه ، ويسيروا في طريقه ليكون لهم من ذلك علم كثير ، وخير عميم ، وهدى ورشاد والله الموفق إلى كل خير والمعين عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين

(١) سورة النحل : ١١١

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة العلمية الممتعة ، مع موضوع الجدل القرآني يحسن بنا في نهاية المطاف أن نلخص ما وصلنا إليه من نتائج فيما يلي :

- ١) مادة الجدل ليست بالمادة التي يقصد إليها القرآن قصداً أولياً ، فهو لا يبدأ دعوته بالجدال ، ولكن يقيم البراهين ويسوق المعلومات بأسلوب الوعظ والإرشاد ، والوعد والوعيد ، تربية للنفوس ، وتهذيباً للأخلاق ، وهداية للمجتمعات الإنسانية بالموعة الحسنة .
- ٢) الإعجاز فيه معنى التحدي والإلزام ، وهذه الأشياء تعتبر من المسالك الجدلية ، وقد ثبت إعجاز القرآن ، ومن ثم تبدو العلاقة بين الإعجاز والجدل القرآني ، فجذاله وبراهينه صورة من صور إعجازه .
- ٣) لدراسة الجدل القرآني فوائد جمة ، وثمرات كثيرة للمسلم وللدعوة وللإسلام نفسه .
- ٤) لما كان الجدل فيه معنى المغالبة والإلزام والإفحام ، جاء في القرآن في مواضع كثيرة في الجدل المذموم ، ولم يأت في الجدل المحمود إلا في ثلاثة مواضع .
- ٥) الجدل ظاهرة عالمية ، وجدت منذ المخلوقات في هذا الكون .
- ٦) الجدل إما ممدوح مأمور به ، وإما مذموم منهي عنه ، والأول يفيد في توضيح الحق وإظهاره ، والثاني مسلك أهل الأهواء والبدع لإطفاء نور الحق والهدى .
- ٧) يجب على العلماء أن يجادلوا أهل المكابرة والزيغ والضلال ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
- ٨) اتساع ميدان الجدل القرآني ، وكثرة موضوعاته ، وتنوع أساليبه تبعاً لثقافة الخصم ودرجة إنكاره وجحوده .
- ٩) سلك القرآن مع أهل اللجاجة والعناد كل مسلك ، ودخل عليهم من كل باب حتى يذعنوا للحق ، ويتركوا الباطل الذي لا برهان عليه ولا دليل معه .

١٠) للجدل القرآني خصائص انفرد بها في أسلوبه وأهدافه ووسائله ، ومميزات عالية جعلت منه جدلاً راقياً معجزاً إعجاز القرآن نفسه .
١١) للقرآن الكريم أداب عالية في الجدل ، لبت الناس يستفيدون منها في جدلهم ، لعلمهم إلى طريق الحق يهتدون وعلى سبيل الهدى يسيرون ، ويجمعون الناس على طريق الهدى والرشاد والله أعلم .

مراجع البحث

- (١) الإتيقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي ، نشر دار الكتب ، بيروت .
- (٢) استخراج الجدل من القرآن الكريم للإمام عبد الرحمن بن نجم الأنصاري المعروف بابن الحنبلي ن مؤسسة الريان طبعة أولى ١٩٩٢م
- (٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعرفة للطباعة والنشر .
- (٤) تاريخ الجدل ، الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٨٠م
- (٥) التعريفات - الجرجاني - مطبعة الحلبي .
- (٦) تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير - دار التراث .
- (٧) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي - دار الغد العربي .
- (٨) الدر الثمين في علوم الكتاب المبين د/ شكري الأخضر - مطبعة محلة زياد - الطبعة الأولى ١٩٩٤ م
- (٩) زاد المسير في علم التفسير ، للجوزي طبعة المكتب الإسلامي - الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ
- (١٠) زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، مطبعة الحلبي .
- (١١) سنن النسائي، بشرح السيوطي، وحاشية السندي، نشر دار الكتاب العربي
- (١٢) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية .
- (١٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، دار احياء التراث .
- (١٤) فتح القدير (تفسير الشوكاني) مطبعة الحلبي - الطبعة الثانية .
- (١٥) في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة التاسعة

- (١٦) الكافية في الجدل لإمام الحرمين - عبد الملك الجويني ، تحقيق د/ فوقية حسين محمود - مطبعة الحلبة ١٩٧٩ م .
- (١٧) كيف نتعامل مع القرآن العظيم د/ يوسف القرضاوي - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .
- (١٨) لسان العرب لابن منظور - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .
- (١٩) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان - دار غريب - الطبعة الخامسة .
- (٢٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد الفيومي - دار القلم - بيروت .
- (٢١) المعجزة الكبرى ، الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- (٢٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- (٢٣) مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة .
- (٢٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٦١ م .
- (٢٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم د/ زاهر عوض الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .
- (٢٦) من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي - نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٨ م .
- (٢٧) النبأ العظيم د/ محمد دراز - دار القلم ، الكويت الطبعة الرابعة .
- (٢٨) نحو فلسفة علمية . د. زكي نجيب محمود ص ١٤٥ ط ١ ١٩٥٨ م ، مكتبة الأنجلو المصرية
- (٢٩) انظر خرافة الميتافيزيقا - د. زكي نجيب محمود ص ٣٣ ط ١٩٥٣ م ، مكتبة النهضة المصرية .